فكاهات الحرب

للأستاذ عباس محمود العقاد

الجد ضد الهزل والعبث ، ولكنه ليس بضد للفكاهة وملكة السخرية ، بل لعله يثيرها فى النفس ويدعو إليهما

فأنت تستغرب استغراب الإنكار والازدراء إذا رأيت رجلاً يهزل ويعبث وهو يواجه الشدة ويقف فى الموقف الذى يتطلب العمل والجهد والهمة ، ولكنك لا تستغرب هذا الاستغراب إذا رأيته يواجه الشدائد وهو يستخف بها ويتخذ منها موضعاً للفكاهة والسخرية ، بل تحمد منه هذه الفكاهة وتعدها ضرباً من القوة والشجاعة ، لأن العبث بالجد يفسده ويضعف النفس عن احتماله ؛ أما الفكاهة مع الجد فهى معوان عليه

ولا شك فى أن سليقة الفكاهة مصرف للنفس الإنسانية وعصمة لها وحافز على النهوض بما يثقل عليها من أوقارها

ولهذا تروج النكات و « القفشات » فى إبان الحروب والمصاعب . وتعد « النكتة » امتحاناً لطبائع الأمم وعقولها فى هذه الأحوال ، فلا تجفل من الخطب أمة تستطيع أن تواجهه وهى باسمة ، ولا تبسم الأمة للخطب إلا وعندها قدرة على النهوض به والتصرف فيه

وسننقل فى هذا المقال بعض الفكاهات التى أسفرت عنها الحرب الحاضرة ، ثم نعقب عليها بعض التعقيب الذى يخلق بطائفة من المصريين أن يلتفتوا إليه

* * *

تحدث الألمان والروس كثيراً بالحرب الخاطفة أو بضربة البرق العاجلة كما يسمونها Blitzkrieg ويمنون بها اكتساب النصر فى معركة حاسمة سريعة

فزعم الراوية أن انجليزياً يسأل صاحبه ما هى الضربة الخاطفة ؟

فيجيبه الصاحب : إنها هى الضربة التى لا تقع مرتين فى مكان واحد

فيصمت السائل قليلاً ثم يقول مصححاً ! ! . . . يخيل إلىّ يا صاح أنها شىء أسرع من ذلك : يخيل إلى أنها هى الضربة التى لا تقع مرة واحدة فى مكان واحد !

* * *

والمعروف عن مولوتوف الوزير الروسى أنه تمتام يتلعثم فى كلامه . فذكره أحد السامعين له فى المذياع لصديقه وهو يقول : أليس بعجيب أن يتكلم هذا التمتام أمس ربع ساعة ولا يتلعثم مرة واحدة ؟

قال الصديق : كلا ! لأنه كان يكذب !

* * *

ويعرف بعض القراء تمثال الحقيقة وهو على صورة فتاة رزان تحمل مصباحاً وتستقبل السماء بوجه وقور

فنشرت إحدى الصحف هذا التمثال منكساً وقد أخذ بقدميه على الجانبين كل من مولوتوف وجوبلز وهما يقولان :

هذه هى الحقيقة . . . أليست هى بعينها ؟

* * *

واشتهر جورنج بحب الألقاب والأنواط حتى ما يكاد يرى إلا وعلى صدره صفوف منها يغيرها بين ساعة وساعة

فزعم الراوية أنه قد بات يخشى أن يأتى بعد اليوم بعمل مجيد يستحق من أجله نوطاً من أنواط الفخار

لأنه إذا استحق هذا النوط لم يجد لتعليقه إلا موضعاً واحداً من كسوته

وعندئذ لا يستطيع الجلوس على كرسيه

* * *

وقيل إنه مات فأصبح مستريحاً فى قبره ، لأنه يحب أن يشعر بشىء على صدره !

دجلة ، وعينى إلى جسر مود ، ثم أشاهد فلماً عجيب الألوان من الناس والأجناس والصور : فهذا قطيع من الغنم يعبر الجسر إلى المجزرة فى حمى راعيه ، وهو مستسلم لصوته ومنقاد لعصاه استسلام الأمة للطاغية يقودها إلى الحرب ، وانقياد الخليقة للقدر يسوقها إلى الموت ! وهذا الملك فيصل يعود من قصر العرش إلى قصر الزهور من غير حرس ولا جلبة ، فيقف فى غمرة الناس على فم الجسر ينتظر أن يعبر القطيع وراعيه ! وهنالك تلاقى راع وراع ، وتقابل قطيع وقطيع ! ولكل إنسان فى دنياه مملكة ينفذ فيها حكمه ، ودائرة ينعقد عليها أفقه . . . » ثم حاولت أن أقرأ بقية الورقة القابلة الحائلة فلم أستطع !

عبد الرحمن الزيات

وقيل إنه ذهب فى زيارة إلى مستشفى المجانين فبدا له أن واحداً منهم لم يكترث له ولم يتحرك لوجوده ، فاقترب منه وسأله : ألا تعرفنى ؟

فأجاب المجنون : كلا !

قال : أنا هرمان جورنج

فظل المجنون على قلة اكتراثه كما كان قبل أن يتحدث إليه « الماريشال العظيم » وكأنما على وجهه علامة استفهام إلى جانب علامة الاستفهام الأولى

فعاد الماريشال العظيم يقول: هلم، هلم يا صاح ! كيف لا تعرف هرمان جورنج رئيس الوزارة البروسية ؟

فلم تنقص علامتا الاستفهام على وجه المجنون بل زادتا واحدة جديدة

ومضى الماريشال العظيم يقول : جورنج وزير الطيران !

والمجنون صامت ينظر

ثم يقول الماريشال العظيم : جورنج يا هذا رئيس مجلس الريشستاج !

والمجنون فى صمته وقلة اكتراثه

ثم يقول الماريشال العظيم : جورنج يا هذا ... جورنج ! ... ألا تعرف جورنج الصياد الأشهر ؟

عندئذ يتجاوز الأمر حد الاحتمال فى رأى المجنون ، فينصرف مشفقاً وهو يردد بين شفتيه :

مسكين ! .. هكذا يبدأ الحال معنا جميعاً فى هذا المكان ...

* * *

ويعلم القراء أن ريبنتروب كان يتجر بالشمبانيا والخمور قبل ولايته الوزارة

فكتب أحد الناظمين تحت صورته : هذا هو ريبنتروب ، هذا هو صانع الماهدات الآن وصانع الشمبانيا من قبل . ولكن لا يعلم أحد أيهما ينطلق فقاقيع فى قوارير ، وأيهما يسيح بغير صوت !

* * *

وصاح المذيع النازى فى إحدى الليالى بعد الإشارة إلى ما يقال عن نقض هتلر لوائيقه :

زعيمنا يا قوم لم يتعود قط أن يكسر كلمة من كلماته

فنشرت صحيفة انجليزية هذه الإذاعة فى اليوم التالى وأضافت إليها هذه الكلمات: « نعم ... لأن الكسر من خواص المادة نفسها »

* * *

وقال هتلر لجورنج عن عرض الصلح :

حسن ... إذن سأعرض بطاقاتى على المائدة

فأطرق جورنج قائلاً : ليتها بطاقات طعام !

* * *

وشاع بين الألمان أن هتلر لا يرى الحقيقة على جليتها فيما يجرى من شؤون الحرب والسياسة . فقال القائلون : نعم . يجب أن يتنحى جورنج قليلاً ! ...

* * *

وكتبت صحيفة فرنسية بعد غارات الشيوعيين أو الجنود الحمر على شواطئ البحر البلطى ، تسأل الجغرافيين : أيصبح البحر الأحمر ؟ !

* * *

وللرقيب نصيب وافٍ من فكاهات الصحفيين الذين لا يشفع لديهم فيه أنه يجيز هذه الفكاهات

ونجتزئ منها بالأبيات التى كتبها ناظم هجاء على « ضريح الرقيب المجهول » قال :

« هنا يرقد فى النهاية رقيب ثار عليه الصحفيون المخنقون فنام محشواً برصاص مثل رصاصه الذى لا ينفد . . . ولعله — والله أعلم — قد تنبه بعد الرقاد فمر على اسمه بذلك القلم المهود »

* * *

تلك نماذج متفرقة من « القفشات » الحربية التى تروج هذه الأيام فى البيئات الإنجليزية والفرنسية ، وهى كما يرى القارئ على نسق يوشك أن ينتظم فى سلك القفشات التى ألفناها من جماعة « أبناء البلد » فى هذه الديار ، لولا ما يلاحظ على أغلبها من قلة اللعب بالألفاظ وكثرة الاتجاه إلى اللباب

والطائفة التى نود أن نستخرج من هذه القفشات مغزاها الذى هى فى حاجة إليه هى طائفة « أبناء البلد » نفسها

لأن الذهن الذى تعودنا أن نسميه بالذهن « البلدى » مصاب بآفة تحجب عنه الكثير من حقائق الدنيا ، وهى آفة النظر إلى الأشياء على وجه واحد وصورة واحدة . فإذا ألف أن يقرئ الناس السلام بأسلوب متواتر وألفاظ محفوظة فمن الإخلال بالذوق عنده أن تبدل لفظاً من تلك التحية أو تجريها مرة واحدة على خلاف ذلك الأسلوب